

إِطْرَابُ الْخَلْقَاتِ الْعِلْمِيَّةِ



عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ حَبِيبُ

الحياة والسلفين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٤٢٠

الأدب السني

لطلاب الخلق والعلم

تأليف فضيلة الشيخ:

عبد الرحمن بن زيد بن أحمد بن عبد البر

د. أحمد بن محمد بن عبد البر السلفي

الاسم: الآداب السنية لطلاب الحلقات العلمية

المصنف: عبد الرحمن ديرية حسين

عدد الصفحات: ٩٧

سنة الطباعة: ١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦م

بلد الطباعة: مقديشو - الصومال

© حقوق الطباعة محفوظة

الطبعة الأولى



061 0575287 / 0619010116

@ alihya books

alihya books@gmail.com

Mogadishu-- somalia



مقدمة الرسالة:

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِ الله فلا مضلّ له، وَمَنْ يَضِلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فيا طالب العلم، يا من حملت لواء العزم، وركبت بحر الطلب بلا كل ولا سأم، هذه رسالة كتبها لك سطوراً من نور، نسجتها بخيوط الأدب، وزينتها بلآلئ الحكمة، وجملتها بروائع النقل، رسالة تعبق بذكريات من مضوا من قبلك على طريق العلم والطلب.

في طياتها عبيرٌ من ماضٍ تليد، وحكمةٌ من حاضرٍ مجيد، ونداءٌ من قلبٍ يريد لك الخير والتوفيق.

فيها نفحات العلماء، وهمسات الأتقياء، وصدى المجالس المضيئة بأنوار النكت والفقه والمعرفة.



فلتطالعها يا طالب العلم بقلبٍ مشرقٍ، وعقلٍ واعيٍّ، لتقطف من
ثمارها، فطريق العلم طريق العظماء، وسبيل الأنبياء، وميراث الحكماء.
فلعل هذه الرسالة تكون زادك في سفرك، ورفيقك في وحدتك،
ومؤنسك في غيابك .

كتبها :

عبد الرحمن ديرية حسين

في مكة المكرمة ٢٧ / ذي القعدة / ١٤٤٦ هـ جـرية





الفصل الأول

النية أول الطريق

يا طالب العلم...



إن أول ما تُبتدأ به الرحلة هو النية، فهي البذرة التي إن صلحت،
أزهرت علماً مباركاً، وإن فسدت، أثمرت شوكاً وندماً.

النية هي السرُّ بين العبد وربّه، لا يطلع عليها بشر، ولكن آثارها
تنضح في القول والعمل والسلوك.

قال ابن المبارك رحمته الله:

"رُبَّ عملٍ صغيرٍ تعظمه النية، وربَّ عملٍ عظيمٍ تصغره النية".^(١)

وقال سفيان الثوري:

"ما عالجت شيئاً أشدَّ عليّ من نيتي، إنها تتقلب عليّ".^(٢)

بوابة القبول، ومفتاح التوفيق، وميزان الأثر.

من طلب العلم ليرتفع على الأقران، أو ليُشار إليه بالبنان، فقد
خاب وخسر، وإن حصّل ما حصّل، كما جاء في الحديث: «**من طلب**

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ٢/٢٧٥ —

أبو طالب المكي (ت ٣٨٦).

(٢) أخرجه: أبو نعيم في «الحلية» ٧/٥ و٦٢، وفيه كلمة «نفسى» بدل كلمة «نيتي».



العلم لِيُبَاهِي به العلماء، أو لِيَمَارِي به السفهاء، أو لِيَصْرِف به وجوه
الناس إِلَيْهِ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ»^(١)

يا طالب العلم...

طَهَّرْ قلبك من شوائب الرياء، واجعل همَّك رضا الله، وابتغِ رفعَ
الجهل عن نفسك وعن أمتك، فإنما يُرْجى العلم لخشية الله، لا لكثرة
الجدال. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٢).

فلتكن نيتك:

١- نصره الدين.

٢- إحياء السنة.

٣- تعليم الجاهل.

٤- إصلاح القلب.

٥- وإعداد النفس للدار الآخرة.

واعلم أن النية لا تُؤخذ مرة وتنتهي، بل تُراجع كل يوم، بل كل
ساعة، فإن القلوب تتقلب، والشياطين تلبس على السالكين.

﴿هَمْسَةٌ فِي أُذُنِكَ﴾

(١) رواه الترمذي.

(٢) [سورة فاطر: ٢٨].

إذا أظلم عليك الطريق، فتفقد النية.

وإذا قلّ بركة العلم، فتفقد النية.

وإذا وجدت نفسك تهتم بالمظاهر أكثر من المضامين، فتفقد النية.

فالنية هي البوصلة، فإذا انحرفت عنها، سرتَ بعيداً وأنت تظن أنك تقترب.

فيا طالبَ العلم...



اجعل أول زادك الإخلاص، واغرس نيتك في أرض الصدق، واسقها بالدعاء، وأبعدها من العُجب، تنبت لك علماً نافعاً، وعملاً صالحاً، وأجراً لا ينقطع.

قال ابن قتيبة - رحمه الله -:

وكان طالب العلم فيما مضى يسمع ليعلم ويعلم ليعمل ويتفقه في دين الله لينتفع وينفع فقد صار طالب العلم الآن يسمع ليجمع ويجمع ليذكر ويحفظ ليغالب ويفخر، وكان المتناظرون في الفقه يتناظرون في الجليل من الواقع والمستعمل من الواضح وفيما ينوب الناس فينفع الله به القائل والسامع، فقد صار أكثر التناظر فيما دق وخفي وفيما لا يقع وفيما قد. (١)



(١) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية لابن قتيبة ١٨/١ — ابن قتيبة (ت ٢٧٦).





الفَصْلُ الثَّانِي

الحياء والعفاف زينة طالب العلم

يا طالب العلم...



إنك تسير في طريق الأنبياء، وتحمل ميراثهم، وميراثهم لا يُحمل إلا بوقار، ولا يُزَيَّن إلا بحياء، ولا يُحفظ إلا بعفاف.

قال رسول الله ﷺ:

«الحياء لا يأتي إلا بخير»^(١)

وقال أيضًا: «الحياء شعبة من الإيمان»^(٢)

فأين حياؤك من الله وأنت تطلب علمه؟

أين حياؤك من ملائكته وأنت تفتح الكتب؟

أين حياؤك من الناس وأنت تُنسب إلى طلاب العلم؟

الحياء ليس خجلًا ساذجًا، بل هو أدبٌ عالٍ، ووقارٌ داخلي، وانكسارٌ جميل أمام هيبة العلم.

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.



إذا انعدم الحياء، تجرأ اللسان، وقلّ الأدب، وساءت النظرات،
وانهارت الهمم.

قال زيد بن ثابت رضي الله عنه:

"من لم يستحي من الناس، لم يستحي من الله." (١)

يا طالب العلم...



إنّ العفاف لا يُقصد به فقط عفاف الجوارح، بل عفاف النفس،
وعفاف الطموح، وعفاف الكلام، فلا تتكلف ما ليس لك، ولا تتصدر
قبل أوانك، ولا تمدّ يدك لما لا يليق بك، فالعفاف يرفعك حيث لا تظن.
ومن مظاهر الحياء والعفاف التي ينبغي لطالب العلم أن يتحلّى بها:

١- غَضّ البصر عن الحرام.

٢- البعد عن المزاح الثقيل والكلام الفاحش.

٣- توقير الشيوخ، واحترام الزملاء.

٤- ترك ما لا يعنيه من فضول النظر والسمع واللسان.

٥- الحرص على ستر النفس والبعد عن مواطن الشبهة.

(١) الزهد لهناد بن السري ٦٢٩/٢ — هناد بن السري (ت ٢٤٣).



وَاجْتَمَعَ الْفُضَيْلُ وَسُفْيَانُ وَابْنُ كَرِيمَةَ الْيَرْبُوعِيُّ، فَتَوَاصَوْا، فَافْتَرَقُوا
وَهُمْ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ: الْحِلْمُ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَالصَّبْرُ عِنْدَ
الطَّمَعِ. (١).

❖ **همسة في أذنك:**

إِنَّ الْحَيَاءَ زِينَةٌ، فَإِذَا سُلِبَهَا الْعَبْدُ، بَدَأَ قَبِيحًا مَهْمَا حَفِظَ وَمَهْمَا
ارْتَقَى.

وَإِنَّ الْعَفَافَ سِيَاحٌ، إِذَا هُتِكَ، انْكَشَفَتِ النَّفْسُ أَمَامَ الدُّنْيَا،
وَسَقَطَتِ الْمَهَابَةُ، وَضَاعَ الْأَثَرُ.

❖ **فيا طالب العلم...**

عَفَّ لِيَرْتَفِعَ قَدْرُكَ، وَاسْتَحْ لِيُثَبِّتَ ذِكْرُكَ، وَكُنْ فِي سُلُوكِكَ نَبِيلاً، كَمَا
أَنْتَ فِي عِلْمِكَ أَصِيلاً.



(١) يُنْظَرُ: ((ربيع الأبرار)) للزمخشري (٢٧١/٣).



الفصل الثالث

الأدب قبل الطلب

يا طالب العلم...



إن الأدب هو السُّلم الذي تصعد به إلى مراتب العلماء، وهو المفتاح الذي يُفتح لك به قلب الشيخ، وهو القبس الذي يُضيء لك طريق الطلب.

قال ابن المبارك رحمته الله:

"طلبتُ الأدب ثلاثين سنة، وطلبتُ العلم عشرين سنة، وكانوا يطلبون الأدب قبل العلم." (١)

فلا تُغرّنك الكتب، ولا تحدّك الشهادات، فالعلم بلا أدب كشجرة بلا ثمر يؤذي ولا يُجدي، ويُهلك ولا يُصلح.

تأمل...

كيف جلس موسى عليه السلام بين يدي الخضر، وهو نبي كريم، ومع ذلك يقول بأدب جم: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِنِّي مَا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ (٢).

(١) غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ١٩٨.

(٢) سورة الكهف: ٦٦.



سأل الإذن، وأقرّ بالفضل، وطلب التعلّم برفق، فأين مثل هذا الخلق
ممنّ يدعي الطلب اليوم؟

ويا طالب العلم...



لا تُدخل قدميك في مجلس علمٍ حتى تُسلم، ولا تتكلم حتى يُؤذن
لك، ولا تسبق شيخك في فتوى، ولا تقاطع حديثه، ولا تتباه بعلمك في
حضرته.

قال الشافعي رحمته الله:

"كنت أقلب الورقة بين يدي مالك تقليبًا رقيقًا؛ هيبةً له أن يسمع
صوتها." (١)

فما بالك اليوم بمن يرفع صوته فوق أصوات المشايخ، ويجادلهم في
المسائل، ويراهم كفؤًا له في المجالس؟!.

يا طالب العلم...



اجعل تواضعك زينة، وهُدوءك هيبة، وإنصاتك علما، وصبرك أدبًا.
فالأدب لا يُدرّس في كتاب، بل يُؤخذ بالنظر، ويُلقط من مجالس
العلماء، ويُورث عن أهل الهيبة والتقوى.

(١) تاريخ دمشق (١٤/ ٢٩٣).



قال عبد الله بن المبارك:

"نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم."^(١)

ومن أدب طالب العلم:

- ١- احترام العلماء ولمن يتعلم منهم من العلماء والمشايخ
- ٢- توقير الكتب، وتجنب رميها أو وضعها في الأماكن غير اللائقة.
- ٣- الحياء في السؤال، والتلطف في الرد.
- ٤- احترام زملاء، وإكرام الكبير، والرحمة بالصغير.
- ٥- حسن السمات والمظهر.

فيا طالب العلم...



إن العلم بلا أدب شؤم، وإن الأدب مع قلة العلم خير من العلم الوفير مع قلة الأدب.



(١) المحدث الفاضل ت عجاج ٥٥٩/١ — الرامهرمزي (ت ٣٦٠).





الْفَضِيلُ الرَّابِعُ

الجدُّ والاجتهاد طريق السُّؤدد

يا طالبَ العلم...

اعلم أن المجد لا يُنال بالتمني، والعلم لا يُدرك براحة الأبدان،
وإنما هو طريق شاق، لا يسلكه إلا صابرٌ محتسب، يبيت بين دفتي
الكتب، ويستيقظ على صوت القلم وهو يخطُّ في دفاتره معاني السلف.

قال ابن عباس رضي الله عنهما:

"ذللْتُ طالبًا فعزَّزْتُ مطلوبًا".^(١)

هكذا كانوا ذلَّ في الطلب، وسهر الليالي، وسفر في البلاد، فنالو عزَّ
العلم.

ويا طالبَ العلم...

إن علوَّ الهمة علامة النجاح، وإن التسويف آفة قاتلة.

فلا تؤخر درس اليوم إلى الغد، ولا تترك المذاكرة حتى تتراكم
عليك العلوم، فإن البحر إن لم تُمسكه بماءٍ يسيرٍ كلَّ يوم، جفَّت كُفُّك
ولم ترتو.

(١) جامع بيان العلم وفضله ٤٧٤/١ — ابن عبد البر (ت ٤٦٣).



وقال مسلم في صحيحه:

قال يحيى بن أبي كثير: "لا ينال العلم براحة البدن".

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله:

"وقد أجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يدرك بالنعيم، وأن من أثر الراحة فاتته الراحة، وأن بحسب ركوب الأهوال واحتمال المشاق تكون الفرحة واللذة، فلا فرحة لمن لا هم له، ولا لذة لمن لا صبر له، ولا نعيم لمن لا شقاء له، ولا راحة لمن لا تعب له، بل إذا تعب العبد قليلا استراح طويلا، وإذا تحمل مشقة الصبر ساعة قاده لحياة الأبد، وكل ما فيه أهل النعيم المقيم فهو صبر ساعة، والله المستعان، ولا قوة إلا بالله." (١)

ويا طالب العلم...



اجعل لك وردًا يوميًا من الحفظ، والمراجعة، والمطالعة.

اجعل لنفسك أوقاتًا لا تُفَرِّط فيها مهما كانت الأشغال، وتذكّر أن النفس إن لم تُرَبَّ على الانضباط، ألفت التسيّب والكسل.

قال الحسن البصري:

"طلبُ العلم لا يعدله شيء، لمن صحَّت نيّته." (٢)

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. (١٦٦/٢).

(٢) مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى (٥٤١/١).



ومن دلائل الجِد والاجتهاد:

- ١- قيام الليل لمراجعة المحفوظ.
- ٢- ضبط الوقت، وتقسيم الساعات، وتجنب الفوضى.
- ٣- الحرص على الحضور المبكر في حلقات العلم.
- ٤- العمل بالمعلومة وعدم الاكتفاء بالحفظ.

فيا طالبَ العلم...



إنما يبلغ المرء بالاجتهاد منزلة العلماء، وبه يُسَطَّر اسمه في دواوين المجتهدين.

ومن لا يجدُّ لا يجد، ومن نام عن العلم، استيقظ على حسرة فواته.





الفصل الخامس

رفقاً بنفسك أيها الطالب : العلم زاد لا عذاب

أيها الطالب :

لا تكن قاسياً على نفسك فتحمّلها فوق وسعها، فإن النفس إن أُجهدت ضعفت، وإن أهملت فسدت، وإن وُسّطت اعتدلت.

قال النبي ﷺ:

«إن هذا الدين يُسر، ولن يُشادّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا

وأبشروا» (١)

فالعلم ليس عقوبة، ولا سجنًا للنفس، بل هو زادٌ يُؤخذ برفق، ويُهضم بتأنٍ، ويُبنى حجراً حجراً.

يا طالب العلم...



خذ من كل فنٍّ بطرف، وابدأ بالأهم فالأهم، ولا تفتح عشرة كتب وتشتت فكرك، ثم تندب الذاكرة، وتشتكي قسوة الطريق.

رتّب نفسك، ووازن بين العلم وراحة القلب، وبين الجدّ ولين الجانب.

(١) رواه البخاري.



قال الإمام الزهري:

"من رام العلم جملة، فاته جملة." (١)

ويا طالب العلم...



أحسن إلى نفسك كما تحب أن تُحسن إلى غيرك.

١- لا تهمل النوم والراحة.

٢- لا تُفرط في طعامك وشرابك.

٤- لا تعزل الناس عزلةً تفسد عليك روحك.

٥- لا تقارن نفسك بغيرك، فإن الناس طاقات.

همسة لك:



كلُّ مرحلةٍ في الطلب تحتاج لصبر، ولكن لا تجعل صبرك جلدًا مؤذيًا، بل رحمة ورفقًا.

فيا طالب العلم...



لا تُقسّ على قلبك، فالعلم حياة، ولا تُصعب الطريق، فالهداية تيسير.

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ٢٣٢/١ — الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣).



خذ من كل يوم نصيبًا، وامنح نفسك لحظات تجديد.





الْفَضِيلُ السَّادِسُ

صَحْبَةُ الصَّالِحِينَ زَادُ الطَّرِيقِ

يا طالبَ العلم...

الطريق طويل، والزاد قليل، ولا يُقطع دربُ الطلب إلا برفقة
صالحة، تُعينك إذا ضعفت، وتذكرك إذا نسيت، وتشدُّ يدك إذا تهاونت.

قال النبي ﷺ:

«المرءُ على دينِ خليله، فليَنظر أحدُكم من يُخالل.» (١)

ويا طالبَ العلم...

إن النفس ميّالة إلى الكسل، وإن الشيطان مع الواحد، وهو من
الاثنين أبعد، فاجعل لك رفقة من أهل الهمم، لا يُرضيهم القعود، ولا
يُغريهم اللهو.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه:

من فقه الرجل: ممشاه ومدخله ومخرجه ومجلسه مع أهل العلم. (٢)

(١) رواه الترمذي.

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢١١).



انظر حولك...

من جليسك؟ ومن تقضي معه ساعاتك؟
هل هو من يذكرك بالمذاكرة، ويحثك على الحفظ، ويذاكر معك الكتب؟
أم هو من يسرق وقتك، ويُضعف عزيمتك، ويشغلك بتوافه الأمور؟

ويا طالب العلم...

الصحبة الصالحة لا تقتصر على الزملاء، بل تشمل الشيوخ والعلماء.

فاجلس مع الصالحين، ولا تكتف بدروسهم، بل صاحب أخلاقهم، وراقب سلوكهم، وتأدب بأدبهم، فإنك ستري فيهم من الهيبة والتواضع والتقوى ما لا تجده في كتب الفقه.

قال ابن حبان :

"العقل يلزم صحبة الأخيار، ويفارق صحبة الأشرار؛ لأن مودة الأخيار سريع اتصالها، بطيء انقطاعها، ومودة الأشرار سريع انقطاعها، بطيء اتصالها." (١)

(١) روضة العقلاء" (٨٠).



فانظر هذا الأدب، وتلك الهيبة، أليست خيرًا من ألف درس في الأدب؟

ومن علامات الصحبة الصالحة:

- ١-التناصح في الله لا لمصلحة.
- ٢-التواصي على طلب العلم والعبادة.
- ٣-التعاون على المذاكرة ومراجعة الدروس.
- ٤-كفّ الأذى، وغيّ الطرف عن الزلات.

فيا طالبَ العلم...



الزم الصالحين، فإنهم للقلوب كالدواء، وللنفوس كالنقاء، وللطريق كالضياء.





الفصل السَّابِع

الحفظ والعمل : جناح طالب العلم

يا طالب العلم...



اعلم أن العلم لا يثبت إلا بالحفظ، ولا يُثمر إلا بالعمل، فمن حفظ ولم يعمل كان كالشمعة تُضيء لغيرها وتُحترق، ومن عمل بلا علم فهو على غير هدى، ومن جمع بينهما فقد أوتي خيراً كثيراً.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

"كنا نتعلم العشر آيات من القرآن، فلا نتجاوزها حتى نعلم ما فيها من العلم والعمل." (١)

فانظر كيف كان السلف...

يربطون الحفظ بالتدبر، والعلم بالعمل، فلا تكثر من المحفوظات وتنسى أثرها في السلوك، ولا تكتف بفهم المسائل دون أن تظهر ثمرتها في قلبك وخلقك وعبادتك.

(١) السنن الكبرى - البيهقي - ط العلمية (١٧٠/٣).



يا طالبَ العلم...



اجعل لك وردًا ثابتًا من الحفظ، ولو قليلاً، فالقليل مع المداومة خير من الكثير مع الانقطاع.

احفظ كتاب الله، فهو أصل العلوم، وابدأ بالمتون المختصرة في الفقه والحديث والنحو، وكرّر، ولا تمل، فالحفظ يأتي بالتكرار لا بالذكاء فقط.

ثم اعمل بما تحفظ، فإن العلم إن لم يهذب السلوك، كان وبالاً على صاحبه.

اجعل ورعك دليل علمك، وحياءك زينة طلبك، وخشيتك لله برهان صدقك.

قال الحسن البصري رحمته الله:

"كان الرجل إذا طلب العلم لم يلبث أن يرى ذلك في بصره، وتواضعه، ولسانه، ويده، وصلاته، وزهده." (١)

ويا طالبَ العلم...



لا تُغتر بكثرة الحفظ إن لم يُثمر خشية، ولا تُفتن بفصاحة لسانك إن لم يُهذب قلبك.

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢٥٨/١ — ابن عبد البر (ت ٤٦٣).



فربّ حامل علم إلى من هو أفقه منه، وربّ متكلم في العلم لا يجد
له أثرًا في الميزان يوم القيامة.

فيا طالب العلم...



الحفظ والعمل جناحان، إن فقدت أحدهما لم تُحلّق في سماء العلم،
وإن جمعت بينهما ارتفعت إلى عليين.



الفَصْلُ الثَّامِنُ

منزلة العلماء ومكانة العلم

يا طالب العلم...



ارفع بصرك وانظر: من هم ورثة الأنبياء؟

ومن الذين خُصّوا بشرفٍ لا يُدانيه شرف؟

إنهم العلماء، أهل الخشية والهدى، ورثة النبوة، وأئمة الهدى.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (١).

فجعل الخشية ثمرة العلم، وقرنهم بنفسه تعظيمًا وتشريفًا.

وقال النبي ﷺ:

«إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا،

وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر.» (٢)

ويا طالب العلم...



ما تُطلب المجد بمثل العلم، وما رُفعت أقوام وذُكروا في العالمين إلا

لما حملوه من نور الشريعة.

(١) [سورة فاطر: ٢٨].

(٢) رواه الترمذي.



هذا أبو حنيفة يضرب به المثل في الفقه.
ومالك يُروى عنه مذهب أهل المدينة.
والشافعي إمام اللغة ، والفقه ، والحديث.
وأحمد بن حنبل يُذكر في الفقه الزهد والصبر والسنة.

فانظر...

كيف رفعهم الله بعلمهم، فصاروا أئمة يُقتدى بهم، ومصابيح
يُتهدى بنورهم.

قال معاذ بن جبل :

"العلم إمام العمل والعمل تابعه" (١)

ويا طالب العلم...



مكانة العلم ليست لأجل الدنيا، بل لأنه يُورثك نوراً تمشي به في
الناس، ويعينك على معرفة ربك، ويضبط لك المعاملة مع الخلق،
ويهديك سواء السبيل.

قال سفيان الثوري:

"ما ازداد عبدٌ علماً فازداد في الدنيا رغبةً، إلا ازداد من الله بعداً." (٢)

(١) الاستقامة، ابن تيمية، ص ٤٦٤.

(٢) مسند الدارمي - ت حسين أسد ٣٨٥/١ - الدارمي، أبو محمد (ت ٢٥٥).



العلم لا يُطلب للمباهاة، ولا للمنازعة، ولا للمكانة، بل لله وحده،
ولخدمة دينه، وإنقاذ الخلق من الجهل والضلالة.

فيا طالبَ العلم...



إذا عرفت منزلة العلماء، وفضل العلم، فلا تُضيّع أوقاتك، ولا
تلتفت للهو واللعب، ولا تركز للراحة، فإنك في طريق أشرف من طريق
الملوك.





الفصل التاسع

آفات في طريق الطالب... فاحذرها

يا طالب العلم...



إن لطريق العلم أشواكاً، وإن للسالكين إليه آفاتٍ إن لم يحذروها
زلّوا وسقطوا، وربما صاروا فتنةً بعد أن كانوا قدوة.

ومن هذه الآفات:

١- الرياء وحب الظهور:

أخطر ما يفسد النية أن تطلب العلم لثقال: "عالم، محدث، فقيه"،
فذاك أول من تُسعر به النار.

قال عليه السلام:

«أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل تعلّم العلم وعلمه، وقرأ
القرآن... فأُتي به، فعرفه نعمته، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال:
تعلّمتُ العلم وعلمته، وقرأتُ فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك
تعلّمت ليُقال: عالم، وقرأت ليُقال: قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسُحب
على وجهه حتى أُلقي في النار.» (١)

(١) رواه مسلم.



٢- العُجب بالنفس:

إذا أعجبتَ بعقلك أو حفظك أو علمك، فاعلم أنك على خطر.
فما من شيء أهلك مَنْ قبلك مثل الغرور.

وعن خالد بن يزيد بن معاوية قال:

"إذا رأيت الرجل لجوجاً مमारياً معجباً بنفسه، فقد تمت خسارته." (١)

وكان يحيى بن معاذ يقول:

"إياكم والعجب، فإنَّ العجبَ مهلكةٌ لأهلِهِ، وإنَّ العجبَ ليأكل
الحسَنَات كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ." (٢)

٣- الجُдал والمراء:

العلم ليس ساحة خصام، ولا ميدان انتصار للذات.
إياك أن تُجادل لتُغلب، أو تُماري لتُظهر فضلك، فإن ذلك مذموم.

قال الإمام مالك:

"المراء في العلم يُذهب بنور العلم." (٣)

(١) مساوئ الأخلاق (ص ٥٦٧).

(٢) شعب الإيمان (٩/ ٣٩٦).

(٣) جامع العلوم والحكم ص ١١٣.



٤- ترك العمل:

العلم بلا عمل كالشجرة بلا ثمر، ورب حامل فقه لا ينفذ به.

قال ابن مسعود رضي الله عنه:

"يا أيها الناس، تعلموا، فإذا علمتم فاعملوا." (١)

٥- الكسل والتسويق:

كم من طالب علم ضيع عمره بالتأجيل!

"سأبدأ الحفظ غداً" ... ولم يبدأ.

"سأراجع الأسبوع القادم" ... ولم يراجع.

فلا تكن من هؤلاء.

قال الحسن البصري رحمته الله:

«إياك والتسويق، فإنك بيومك ولست بغدك» (٢)

٦- العجلة في التصدر:

بعضهم يتعلم مسألة أو اثنتين، ثم يفتي ويتكلم، فيضل ويضل.

تأنّ، وتواضع، وكن تلميذاً قبل أن تكون شيخاً.

(١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، ١/ ١٩٥.

(٢) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب ٦٠٨/٣.



وكان الشيخ الإمام القاضي أبو الطيب الطبري يقول:

"من تصدر قبل أوانه فقد تصدى لهوانه".^(١)

وقال شعيب بن حرب:

"من رضي أن يكون ذنباً أبي الله إلا أن يجعله رأساً"^(٢)

٧- التفاخر بالعلم:

العلم لا يكون لرفع مكانتك أو التفوق على الآخرين.

اعلم أن من تواضع لله رفعه.

ثبت عند مسلم عن أبي هريرة:

«وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله».^(٣)

فيا طالب العلم...



احذر هذه الآفات، وراقب نيتك، وتطهر قلبك كل يوم، فإن طلب

العلم عبادة، والعبادة لا تقبل إلا بإخلاص وتقوى.



(١) ((شعب الإيمان)) للبيهقي (١٠/ ٥١٦)، ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (١٧/ ٢٠٨).

(٢) حياة الحيوان الكبرى ٣٨١/٢ — الدميري (ت ٨٠٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٨٨).





الفصل العاشر

ثمار العلم في قلب طالب العلم

يا طالب العلم...



إن العلم نورٌ يضيء دروب الحياة، ويغرس في قلب صاحبه ثماراً طيبةً يقطفها كل من سار على هذا الطريق المبارك. فما أجمل أن يكون العلم مفتاحاً للقلب يفتح به أبواب الحكمة والهدى!

ومن ثمار العلم في قلب طالب العلم:

١- الإيمان بالله:

العلم الحقيقي يربط قلبك بالله ﷻ، ويحسن فهمك لأسمائه وصفاته، ويجعل قلبك متعلقاً به وحده.

قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ (١).

٢- الخشية والتقوى:

العلم يزيد في خشية الله، ويحفز على تطبيق تقوى الله في السر والعلن.

(١) سورة محمد: ١٩.



قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (١).

٣- التواضع:

من أعظم ثمار العلم تواضع القلب، فإن العارف لا يزيده العلم إلا تواضعًا وإجلالًا لله وللناس.

قال رسول الله ﷺ:

«من تواضع لله رفعه.»

٤- العمل الصالح:

العلم يثمر عملًا صالحًا، فمن علم الحق عمل به، ومن عمل به كان له نورٌ في قلبه ونجاةٌ يوم القيامة.

قال أحمد:

ما كتبت حديثًا إلا وقد عملت به، حتى مر بي أن النبي - ﷺ -
احتجم وأعطى أبا طيبة دينارًا فأعطيت الحجام دينارًا حين
احتجمت. (٢)

(١) [سورة فاطر: ٢٨].

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (ج ١/ص ١٤٤).



٥- الصبر والمصابرة:

العلم يغرس في القلب الصبر على الشدائد والمصائب، فهو من أسس بناء النفوس القوية التي لا تهتز أمام الأزمات.

قال أبو هلال العسكري رحمته الله:

ودرجة العلم أشرف الدرج، فمن أراد مداولتها بالدعة وطلب البلوغ إليها بالراحة كان مخدوعاً. (١)

٦- السكينة والطمأنينة:

العلم يبعث في قلب صاحبه السكينة والطمأنينة، فلا تزلزله الفتن ولا تضله الشبهات، بل يكون قلبه ثابتاً كالجبل.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ^{قُل}﴾ (٢).

٧- الرحمة واللفظ بالناس:

العالم الحق لا يتكبر على الناس بعلمه، بل يفيض قلبه رحمةً ولطفًا في الدعوة إلى الله.

قال رسول الله ﷺ:

«إِنَّمَا بَعَثْتُ رَحْمَةً». (٣)

(١) في (الحث على طلب العلم، والاجتهاد في طلبه) (ص ٤٥).

(٢) سورة الرعد: ٢٨.

(٣) مسلم، برقم ٢٥٩٩.



٩- السلامة من الزيغ والضلال:

العلم هو الحصن الحصين الذي يحفظ القلب من الزلل في الفتن والضلال، فهو ميزان التفريق بين الحق والباطل.

العلم الشرعي حصن يتدرع به الإنسان من الوقوع في شرك الفتن، سواء كانت من فتن الشهوات، أو كانت من فتن الشبهات، قال الله ﷻ في بيان أثر العلم في العصمة من كل فتنة: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ (٨٣)، وهذا شأن المنافقين وعملهم: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ (٨٣)، أي: نشره وأشاعوه دون أن يتروا، ودون أن ينظروا هل في إشاعته مصلحة للمؤمنين وأهل الإسلام أو لا؟ قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (٢)، فالعلم سبب للحفاظ من الفتن، وصيانة من الوقوع في أسباب الشر.

فيا طالب العلم...



لتكن هذه الشمار التي تنبت في قلبك من العلم سراجاً يهديك في دروب الحياة، فلا تترك العلم يمر مرور الرياح دون أن تؤثر فيك تلك الشمار الطيبة.

(١) سورة النساء: ٨٣.

(٢) سورة النساء: ٨٣.



اجعل العلم سبيلاً لرقبك في الدنيا والآخرة.





الفصل الحادي عشر

طريق العلم... جهاد ومثابرة

يا طالب العلم...



إن طريق العلم ليس مفروشاً بالزهور، بل هو طريق جهاد ومثابرة.
من أراد أن يرقى إلى مراتب العلم عليه أن يتغلب على صعوبات
الطريق، ويتحمل مشقاته، ويصبر على مشاقه. وإن العلم لا يُعطى هبةً،
بل هو نتاجُ جهدٍ طويل وعزيمةٍ قوية.

ومن خصائص طريق العلم:

١- الاستمرارية وعدم التوقف:

الاجتهاد في طلب العلم لا يعرف التوقف.

فالعالم الذي يطلب العلم يواصل مسيرته لا يتوقف عند حدٍ
معين. كلما تعلم شيئاً زاد شغفه في الاستزادة.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ:

لَا يَزَالُ الرَّجُلُ عَالِمًا مَا تَعْلَمُ فَإِذَا تَرَكَ التَّعْلَمَ وَظَنَ أَنَّهُ قَدْ اسْتَغْنَى
وَكَتَفَى بِمَا عِنْدَهُ كَانَ أَجْهَلَ مَا يَكُونُ.^(١)

(١) مقدمة المجموع (١ / ٥٤).



وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ: مَنْ مَتَى التَّعَلُّمُ؟ وَإِلَى مَتَى؟

قَالَ: مِنَ الْمَهْدِ إِلَى اللَّحْدِ. (١)

٢- الاستعداد للتضحية:

من يطلب العلم لا بد له من التضحية بوقته، وراحته، وأحياناً ماله. فالعالم يعيش في غربة بين الناس، يضحي بما لذ وطاب من أجل تحصيل علمه.

قِيلَ لِلشَّعْبِ: مَنْ أَيْنَ لَكَ كُلُّ هَذَا الْعِلْمِ؟

قَالَ: بِنَفْيِ الْاِغْتِمَامِ، وَالسَّيْرِ فِي الْبِلَادِ، وَصَبْرِ كَصَبْرِ الْحَمَامِ، وَبُكُورِ كَبُكُورِ الْغُرَابِ. (٢)

٣- الابتعاد عن الانشغال بما لا ينفع:

من أكبر عقبات طريق العلم الانشغال بالتوافه والثرثرات التي لا تفيد.

فالوقت ثمين، والتخلص من كل ما يعوقك عن التحصيل العلمي هو أحد أسس النجاح في هذا الطريق.

(١) نشرطي التعريف في فضل حملة العلم (٢١٤/١).

(٢) سير أعلام النبلاء - ط الرسالة ٣٠٠/٤ — شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨).



وَقَالَ مَالِكٌ:

إِذَا رَأَيْتَ قَسَاوَةً فِي قَلْبِكَ وَوَهْنًا فِي بَدَنِكَ وَحِرْمَانًا فِي رِزْقِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ تَكَلَّمْتَ فِيمَا لَا يَغْنِيكَ. (١)

٤- تحمل الإحباطات والنكسات:

في طريق العلم، ستواجهك لحظات من الإحباط، وتجد نفسك تتساءل إن كنت ستصل إلى ما تطمح إليه.

لكن عليك أن تتحمل النكسات، وتستمر رغم الصعاب.

ونقل الخطيب البغدادي في الجامع عن بعضهم قال:

"لا ينال هذا العلم إلا من عطل دكانه، وخرب بستانه، وهجر إخوانه، ومات أقرب أهله فلم يشهد جنازته"، وهذا كله وإن كانت فيه مبالغة فالمقصود به أنه لا بد فيه من جمع القلب واجتماع الفكر. (٢)

٥- السعي وراء العلم في كل مكان:

العلم لا يقتصر على مكان أو زمان، بل يمكنك أن تتعلم في أي مكان وزمان.

(١) سير السلف الصالحين - إسماعيل الأصبهاني ٩٣٧/٣ — إسماعيل التيمي الأصبهاني (ت ٥٣٥).

(٢) تذكرة السامع (٧٠).



أحرص على اغتنام الفرص وطلب العلم في أي وقتٍ وأي مكان.
وتعلم من العالم وإن كان أصغر واغتنم الفرص .

قال وكيع :

لا يكون الرجل عالماً حتى يسمع ممن هو أسن منه ومن هو مثله
ومن هو دونه في السن .^(١)

فيا طالبَ العلم...



إن طريق العلم لا يخلو من العقبات والمشاق، لكنه الطريق الذي
لا يندم عليه سائر.

أحرص على الاستمرار في جهادك، وكن مخلصاً في طلبك، واعلم أن
في النهاية سيأتيك النصر والتمكين.
ولا تنسى أبداً أن العلم هو طريقك إلى رضا الله ﷻ.



(١) الأدب الشرعية لابن مفلح (١١٠ / ٢).





الفصل الثاني عشر

العلم وطلبه في عصرنا

يا طالب العلم...



لقد تغيرت الظروف واختلفت وسائل طلب العلم في عصرنا عن ما كان عليه في العصور السابقة.

اليوم، أصبح الوصول إلى المعلومات أسهل من أي وقت مضى، ولكن في الوقت نفسه، أصبح من السهل أيضًا الوقوع في فتن الشبهات والانحرافات.

لذلك، يجب على طالب العلم في هذا العصر أن يكون على وعي كامل بمسؤولياته، وأن يتعلم كيف يوازن بين المعلومة والتقوى، وبين الفهم الصحيح والتسرع في القول والعمل.

ومن أبرز التحديات في عصرنا:

١- غزارة المعلومات وتضارب الآراء:

في عصرنا، أصبح من السهل الوصول إلى المعلومات من خلال الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي.

ولكن مع غزارة المعلومات، قد يجد طالب العلم نفسه محاطًا بالكثير من الآراء المتضاربة.



الواجب على طالب العلم أن يميز بين ما هو صحيح وما هو خطأ،
وَألا يقبل إلا من أهل العلم الموثوقين.

قال ابن سيرين رحمته الله :

"إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم". (١)

٢- السرعة في الحصول على المعلومات:

في عالم اليوم، أصبحت السرعة في الحصول على المعلومات مطلباً
للعديد من الناس، ولكن يجب أن نتذكر أن العلم لا يُكتسب
بالسرعة.

ينبغي أن يكون طلب العلم قائماً على التأنى والعمق، وليس على
الاستعجال.

وهنا قاعدة منهجية للإمام ابن شهاب الزهري رحمته الله (ت ١٢٤هـ)
قدها لتلميذه يونس بن يزيد رحمته الله

قال: يا يونس :

"العلم أودية إن نزلت أو قطعت وادياً أو دخلت وادياً، قطعت أو قطعك
دون أن تصله ، ولكن خذه مع الليالي والأيام ، فمن رام العلم جملة،
فاته جملة " . (٢)

(١) رواه مسلم في مقدمة صحيحه .

(٢) من هدي السلف في طلب العلم (٨٠).



٣- الانفتاح على مختلف التوجهات الفكرية:

العصر الحالي مليء بالأفكار والمعتقدات المختلفة، وتعرض الطالب لآراء متنوعة قد تثير شبهة أو شكًا في قلبه.

من الضروري أن يتسلح طالب العلم بالعلم الشرعي الصحيح الذي يعصمه من التذبذب.

٤- التشتت الذهني وعدم التركيز:

في عصر التقنية، يعاني كثير من طلاب العلم من التشتت الذهني بسبب تعدد المهام والمصادر التي تشتت الانتباه.

على طالب العلم أن يتعلم كيفية إدارة وقته وتنظيم دراسته ليحافظ على تركيزه.

٥- التعلم عن بُعد وتحدياته:

التعلم عن بُعد أصبح من أساليب التعليم السائدة في العصر الحالي. وعلى الرغم من فوائده، إلا أنه يتطلب من طالب العلم جهدًا إضافيًا في التركيز والانضباط.



قال الإمام السبكي رحمه الله:

"والعلم صعب لا ينال بالهويني، وليست كلُّ الطباع تقبله؛ بل من النَّاس مَنْ يشتغل عمره ولا ينال منه شيئاً، ومن الناس من يُفتح عليه في مدة يسيرة، وهو فضل الله يؤتيه من يشاء".^(١)

٦- التخصصات العلمية الكثيرة:

العصر الحديث شهد تعدداً في التخصصات العلمية التي لم تكن موجودة في العصور الماضية، مما قد يجعل طالب العلم يشعر بالتشتت بين العلوم الشرعية والعلوم الحديثة. والواجب عليه أن يتعلم كيف يوازن بين تخصصاته ولا يفرط في أي منها.

٧- الاستفادة من وسائل التكنولوجيا الحديثة:

رغم التحديات، إلا أن التكنولوجيا تقدم فرصاً هائلة لطالب العلم إذا استخدمها بشكل صحيح. يجب عليه أن يستفيد من هذه الوسائل لتوسيع مداركه وزيادة معرفته من خلال الدورات الإلكترونية، والكتب الرقمية، والموارد المتنوعة على الإنترنت.

(١) [مجموع فتاوى السبكي (١ / ٤٤٨)].



فيا طالبَ العلم...



أنت في عصرٍ مليءٍ بالتحديات، لكن عليك أن تكون من أولئك الذين يستفيدون من هذه التحديات ويحولونها إلى فرص.

تعلم كيف توازن بين التقدم التكنولوجي وبين القيم العلمية الأصيلة.

واعلم أن العلم لا يقتصر على الحفظ، بل هو سلوك وعمل وتطبيق.





الفصل الثالث عشر

كيف تُثبت العلم في قلبك؟

يا طالب العلم...



إن العلم النافع لا يُنال بكثرة التصفح ولا بكثرة التنقل بين الكتب والدروس، بل يُنال بالثبات والصبر والمداومة، ويُرسخ في القلب بالحفظ، والفهم، والتكرار، والمراجعة، والعمل.

فكم من طالبٍ سمع كثيرًا ونسي أكثر، وكم من قارئٍ طاف بين الصفحات فلم يُثمر طُفُوهُ علمًا راسخًا ولا فهمًا ناضجًا.

فإن سألت: كيف أثبت العلم في قلبي؟

فإليك هذه الوصايا، فهي كالدرر:

١- النية الصادقة في الطلب:

إذا صدقت نيتك، ثبت علمك؛ لأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملًا.

٢- التكرار والمراجعة:

العلم يثبت بالتكرار، ويموت بالإهمال.



جَاءَ فِي تَرْجَمَةِ أَحْمَدَ بْنِ الْفُرَاتِ (أَبِي مَسْعُودٍ الرَّازِي) :

أَنَّهُ كَانَ يُكْرِّرُ كُلَّ حَدِيثٍ خَمْسَ مِائَةِ مَرَّةٍ .

وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : إِنَّا نَنْسِي الْحَدِيثَ ؟

فَقَالَ : أَيُّكُمْ يَرْجِعُ فِي حِفْظِ حَدِيثٍ وَاحِدٍ خَمْسَ مِائَةِ مَرَّةٍ ؟!

قَالُوا : وَمَنْ يَقْوَى عَلَى هَذَا ؟ فَقَالَ : لِذَاكَ لَا تَحْفَظُونَ .^(١)

لَا تَكْتَفِ بِالْقِرَاءَةِ الْأُولَى ، بَلْ كَرِّرْ مَرَّةً وَاثْنَتَيْنِ وَعِشْرًا حَتَّى يَتَشَرَّبَ قَلْبُكَ مَا تَقْرَأُ .

٣-تدوين الفوائد:

قيد علمك بالكتابة، فإن القلم حافظ أمين.

وقد قيل

العلم صيد، والكتابة قيده قيد صيودك بالحبال الوثيقة

٤-تلخيص العلم بصيغتك:

إذا قرأت كتاباً أو سمعت درساً، فاختره بأسلوبك، فهذا يعينك على الفهم والتثبيت.

(١) تهذيب الكمال للمزي (١/٤٢٤).



٥- التدرج في الطلب:

لا تشتت نفسك بين عشرات الكتب، بل خذ العلم شيئاً فشيئاً،
من المتون المختصرة إلى المطولات.

قال يونس بن يزيد:

"قال لي الزهري: لا تأخذ العلم جملة، فإن من رام أخذه جملة ذهب
عنه جملة، ولكن الشيء بعد الشيء مع الأيام والليالي^(١).

٦- تدريس ما تعلمته:

من أعظم وسائل تثبيت العلم أن تُعلم غيرك، فإنك بذلك تراجع
وتفهم وتضبط.

٧- العمل بالعلم:

العلم الذي يُطبق لا يُنسى، والعمل مرآة الفهم.

٨- كثرة الدعاء بالتثبيت:

اسأل الله دائماً أن يثبت العلم في صدرك، ويبارك لك فيه، فإن
القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن.

(١) جامع بيان العلم (١/١٠٤).



وكان من دعاء النبي ﷺ:

«اللَّهُمَّ انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وزدني علماً.» (١)

٩-اجتناب المعاصي:

فإن المعصية ظلمة، والعلم نور، ولا يجتمعان.

قال الشافعي:

شكوتُ إلى وكيعٍ سوءَ حظي فأرشدني إلى تركِ المعاصي
وأخبرني بأن العلم نورٌ ونورُ الله لا يُهدى لعاصي

١٠-الصبر والمثابرة:

فالعلم لا يُعطى كرامة، بل يُنال بذلٍّ وحرمان نوم، وصبر على المشقة.

قال يحيى بن أبي كثير:

"لا يُستطاع العلم براحة الجسد." (٢)

فيا طالبَ العلم...



العلم لا يثبت بكثرة الكتب ولا بكثرة الدروس فقط، بل بمنهجيةٍ وصبر، وبمذاكرة وتكرار، وبعملٍ يُصدّق القول. فاجعل لك

(١) رواه الترمذي.

(٢) أخرجه مسلم في ((صحيحه)) (٦١٢).



جدولاً علمياً، ووقتاً للمراجعة، وساعاتٍ للخلوة بالكتاب، وسجدةً
تناجي بها ربك أن يُثبّت العلم في قلبك، وأن يشرح لك صدرك للحق.





الفصل الرابع عشر

اقرأ كتب الأدب... ففيها مفاتيح العلم

يا طالب العلم...



إن لطريقك زادًا لا يُستغنى عنه، وإن من أعظم هذا الزاد: كتب الآداب، لا سيما ما كُتب في آداب طالب العلم، فهي مزايا تهذب النفس، ومصاييح ترشدك في ظلم الطريق، وتجارب ناطقة لأهل الفضل من قبلك، فيها خلاصات العمر، ووصايا العمران، وأدب العلم والعلماء.

فإياك أن تظن أن العبرة بكثرة المتون والحفظ وحده، بل اقرأ في الأدب، وكرر، ودوّن، واغترف من مجارهم، فإن كثيرًا من المتأخرين ضلّوا في الطريقة لأنهم لم يقرؤوا كتب التأصيل والتهذيب.

إليك -أيها الطالب- باقة مختارة من نفائس ما كُتب في هذا الباب، من كتب المتقدمين والمتأخرين، ما بين المطول والمختصر، والقديم والجديد:

من كتب المتقدمين:

١- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر:

مرجع نفيس يجمع فقه العلم، وآداب حملته، وأخبار العلماء، وأقوالهم.



كنز لا يُقدَّر بثمن.

٢- الحث على طلب العلم والاجتهاد فيه للخطيب البغدادي:

رسالة قصيرة لكنها عميقة في معناها، عظيمة في أثرها.

٣- الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي:

فيه من آداب التلقي، وآداب العالم والمتعلم، ما يُعلي همتك ويهذب سمّتك.

٤- أدب الإماء والاستملاء للخطيب البغدادي:

فيه درر نادرة في أدب الجلسة، والتلقي، والمجالس العلمية.

٥- جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي:

وخاصة عند شرحه للحديث: «**من سلك طريقاً يلتمس فيه**

علماً...»، فيه لطائف تربوية وأدبية.

٦- حلية طالب العلم للشيخ بكر أبو زيد:

جمع فأوعى، وحرّر فأبدع، وهو من أهم ما يُقرأ في هذا العصر لطالب العلم المبتدئ.

٧- صفة طالب العلم للشيخ عبد السلام بن برجس:

كتاب يوقظ النائم، ويهزّ الغافل، ويجمع بين التأصيل والتطبيق.



٨- العزلة وآدابها لابن أبي الدنيا:

ليس خاصًا بطالب العلم، لكنه يرسم أدب الخلوة والبعد عن الفتنة.

٩- الزهد والرقائق لأحمد بن حنبل، وعبد الله بن المبارك:

فيه ما يحيي القلب ويجدد النية لطالب العلم.

١٠- إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم:

وفيه من وصف حال العلماء وآدابهم، ما يبكي القلب من شدة ما فيه من نور.

١١- مفتاح دار السعادة لابن القيم:

مطوّل مائع، يشرح فيه عظمة العلم وآثاره، ويُشعل جذوة الطلب

١٢- تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم لابن جماعة:

من أوسع ما كُتب في آداب أهل العلم، مليء بالأقوال والآثار.

١٣- المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي:

في مقدمته درر عظيمة في طلب الحديث وآدابه

١٤- الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح:

مرجع مهم في تهذيب النفس، وصيانة اللسان، وآداب المعاملة.



١٥- الفوائد وبدائع الفوائد لابن القيم:

وهي كتب تتسلل إلى القلب، فيها تأملات وأدبيات عالية يستفيد منها طالب العلم في كل حين.

فيا طالب العلم...

لا تجعل همك قراءة ما يُدرّسك وحده، بل اقرأ ما يُهذّبك، ولا يكن لك مع الكتب المؤدبة والمربّية هجر. اقرأ في الأدب كما تقرأ في الفقه، ودوّن من كلامهم كما تحفظ من المتون.

فإنك إن حفظت ألف متن ولم تتأدّب، كنت فتنة لا قدوة. فاجعل لك في كل أسبوع مجلساً مع كتابٍ من كتب الأدب العلمي، تراجعهُ وتعلّق على فوائده وتطبقه. فإن العلم بلا أدب، كالسيف بلا مقبض، يؤذي قبل أن ينفع.





الفَصْلُ الْخَامِسُ عَشْرُ

زاحم العلماء بالركب... واقترب من النور

يا طالب العلم...



إنك لا تزال في زمن التلقي، وفي مرحلة البناء، وإن أطيب ما تبنيه هو ما كان في ظلال العلماء الربانيين.

فإياك أن تغترّ بكثرة الكتب، أو تأنس بكثرة المحاضرات المسجلة، وتغفل عن النور الحيّ الذي يُؤخذ من أفواه الرجال، وجلساتهم، وحياتهم، وصمتهم وكلامهم.

قال بعض السلف:

"إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم." (١)

وقال آخر:

ذكر طرفاً منها صاحب كتاب "صفحات من صبر العلماء"،

فقال ﷺ:

(١) أخرجه مسلم في ((مقدمة الصحيح)) (١٦/١)، والدارمي (٤٢٤) عن محمد بن سيرين.



"وقد كان الأوائل يعتبرون الرحلة في طلب العلم، أصلاً لا يتخلف عنها إلا من أقعده ضعف الجسم، أو كثرة العيال، أو فقد الدريهمات، أو رعاية حق الوالدة أو الوالد".^(١)

إن بين صفحات الكتب نوراً، ولكن بين الركب المتلاصقة في مجالس العلم شعاعاً لا يُوصف؛ فيه التوجيه، وفيه الأدب، وفيه المهابة، وفيه خفاء البركة التي لا تُدرك بالعين، ولكن يراها قلب الطالب الصادق.

يا طالب العلم...



زاحم العلماء بالركب، ولو كنت أضعف الطلبة.
اجلس حيث يُجلسون، حتى لو لم تسأل، فإن الجلوس معهم عبادة،
والسكون بين أيديهم خشوع، والنظر إليهم تربية.
كن كالعطشان يشرب من مائها، وكالفقير يغترف من عطاياها.
مجالسة العلماء تورثك ستة أمور:

١- تغذية العقل بالعلم الصحيح.

٢- تربية النفس بالأدب العملي.

٣- تقوية القلب بالخشية.

(١) صفحات من صبر العلماء» ص (٤٧).



٤-تصحيح المسار والتوازن في الفهم.

٥-الارتباط بالسَّند العلمي المتصل.

٦-السلامة من الشذوذ، والغرور، والانحراف.

وإياك والعُزلة عن أهل العلم، فإن الذئب يأكل من الغنم القاصية.

وإياك أن تظن أنك بغنى عن شيخ يوجِّهك، فإنك بذلك تفتح

لنفسك باب الزلل والتعالم والتخبط.

فيا طالبَ العلم...



اقترب من النور، ولا تكتفِ بنسخته الورقية، فإن العلم حياة،

والحياة تُؤخذ ممن يحيا بها.

اجعل في جدولك لقاءً دوريًّا مع شيخٍ أو عالم، وإن طال الطريق،

وإن قلَّ الزاد، وإن لم تفهم كثيرًا من كلامه في البداية.

سيأتي يوم ترى فيه النور في قلبك، لا تدري من أين جاء، فإذا هو

من مجالسة العلماء.





الفصل السادس عشر

بين العزلة والصحة... من تختاره؟

يا طالب العلم...



إنك في طريق طويل، شاق، لا يُحتمل وحدك، وإن القلوب لتضعف،
والنفس لتكل، وإن لم تجد مؤنسًا على الطريق، خفت أن تضلّ أو تكسل
أو تملّ.

فاحرص على الصحبة الصالحة، فإنها عون بعد توفيق الله، ورفيق
في زمان الغربة، وسندٌ في لحظات الضعف.

وقال المسعودي صاحب مروج الذهب:

لو لم يكن لأبي العتاهية إلا هذه الأبيات التي أبان فيها صدق
الإخاء ومحض الوفاء لكان مبرزًا على غيره ممّن كان في عصره .

وهي هكذا في الديون :

وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَجْمَعَكَ إِنَّ أَخَاكَ الصَّدَقَ مَنْ كَانَ مَعَكَ
شَتَّتَ فِيهِ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكَ^(١) وَمَنْ إِذَا رَيْبُ الزَّمَانِ صَدَّكَ

(١) مروج الذهب (٣ / ٣١٦).





يا طالبَ العلم...

لا تصحب كل أحد.

فمن الناس من يُضيّع وقتك، ومنهم من يُفسد قلبك، ومنهم من
يُلبسك لباس الغرور أو الغفلة أو سوء الظن، ولو كنت لا تشعر.

فإن كنت لا بدّ مصاحبًا، فاختر من:

١- يُذكرك بالله إن نسيت.

٢- ويُعينك على طلب العلم إن تعبت.

٣- ويُسدّدك إن أخطأت.

٤- ويستر عليك إن زلت.

٥- ولا يذكرك بنفسه كلما أسدى إليك معروفًا.

قال يحيى بن معاذ يَقُولُ:

أَخُوكَ مَنْ عَرَّفَكَ الْغُيُوبَ، وَصَدِيقُكَ مَنْ حَذَّرَكَ الذُّنُوبَ. (١)

إياك وقرناء السوء...

فإنهم لا يجرّونك إلى الخير، ولا يُعينونك على الطاعة، وقد يزينون
لك طريق الهلاك وأنت تحسب أنك على شيء.

(١) الفوائد والأخبار لابن حنبل ١٤٨/١ — ابن حنبل (ت ٤٠٥).



قال النبي ﷺ:

«المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخالل.» (١)

قد تميل نفسك أحيانًا إلى العزلة، فاحذر أن تكون عزلة بطالة، أو وحدة كسل، أو هروبًا من المسؤولية، أو وسيلةً لتغذية العجب. العزلة الصالحة عبادة، إذا كانت لمراجعة، أو خلوة مع الله، أو ترتيب النفس.

لكنها ليست دائمة، ولا هي طريق القعود، بل هي وقفات ثم عودة للسير في مواطن العلم والدعوة والعمل.

فيا طالب العلم اختر رفيقك كما تختار دواءك.

ولا تخجل أن تفارق من لا يُعينك على طاعة، فإن سلامة قلبك وعلمك ودينك أولى من مجاملة تُوردك المهالك.



(١) رواه أبو داود والترمذي.





الفصل السابع عشر

فقه الوقت... واغتنام الأنفاس

يا طالب العلم...



إن أنفاسك تُعدّ، وساعاتك تُحصى، وأيامك لا تعود، وإن أعظم رأس مال لطالب العلم هو وقته.

فالذي لا يُحسن تدبير وقته، لن يُحسن بناء نفسه، ولا يُرجى له بلوغ الغاية في العلم أو العمل.

قال ابن مسعود رضي الله عنه:

"ما ندمتُ على شيء ندمي على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي." (١)

الوقت أغلى من الذهب.

قال الإمام الشافعي:

"صحبتُ الصوفية فما استفدت منهم إلا كلمتين: الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، ونفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل."

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (٦٠٩/٣).



وقال الحسن البصري:

"ابن آدم، إنما أنت أيام، كلما ذهب يوم، ذهب بعضك."

فيا طالب العلم...



إياك والتسويف، فإن التسويف قبرُ الهمم، وهادمُ الآمال، ورفيقُ
الفشل.

كم من طالب قال: "سأبدأ غداً..."

فما بدأ!

وآخر قال: "سأراجع بعد الامتحان..."

فنسي ما قرأ!

وآخر قال: "سأطلب العلم إذا فرغت من كذا..."

فلم يفرغ قط!

فماذا يعني فقه الوقت لطالب العلم؟

١- أن يعرف أولوياته:

فيقدّم العلم على الملهيّات، ويحفظ وقته من الضياع في القيل
والقال.

٢- أن يقسّم يومه:

بين الحفظ والمراجعة، والمطالعة، والجلوس إلى المشايخ.



٣- أن يعرف مواطن البركة:

فببكر في يومه، ويجعل لحظات النشاط لأهم العلوم.

٤- أن يستثمر الفُتات:

فيغتنم أوقات الانتظار، والسفر، والفراغ العارض.

أمثلة من حياة العلماء في اغتنام الوقت:

أَشَدَّ حِرْصًا عَلَى أَوْقَاتِهِمْ مِنْ حِرْصِكُمْ عَلَى دَرَاهِمِكُمْ
وَدَنَانِيرِكُمْ".^(١)

وهذا هو بكر بن عياش رحمته الله قال:

" إِنْ أَحَدَهُمْ، لَوْ سَقَطَ مِنْهُ دِرْهَمٌ لَظَلَّ يَوْمَهُ يَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ، ذَهَبَ
دِرْهَمِي، وَلَا يَقُولُ: ذَهَبَ يَوْمِي، مَا عَمَلْتُ فِيهِ " ^(٢)

تعالوا نتذكّر ما كان عليه سلفنا، وننظر في حالنا، لعل الله يحيي في
نفوسنا الرغبة في العمل الصالح، والمصارعة إلى الخيرات؛ فإن معرفة
أخبار السلف ممّا يُحمّس النفوس للعمل، ويطرد عنها غبار الكسل
﴿فَبِهْدَانِهِمْ أَقْتَدِهِ﴾ ^(٣)، فكيف كانوا؟ وماذا فعلوا؟.

(١) [شرح السنة (٢٥٥/١٤)].

(٢) الحلية لأبي نعيم (٣٠٣/٨).

(٣) سورة الأنعام: ٩٠.



فهذا أبو بكر رضي الله عنه:

الرجل الذي ما وَجَدَ طريقًا عَلِمَ أَنَّ فيها خيرًا وأجرًا إِلَّا سَلَكَهَا وَمَشَى فيها، كما في صحيح مسلم؛ حينما وَجَّهَ النبي ﷺ إلى أصحابه بعض الأسئلة عن أفعال الخير اليومية، كان أبو بكر الصديق هو المجيب، قال ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟»، قال أبو بكر: أنا، فقال النبي: «فَمَنْ تَبَعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟»، قال أبو بكر: أنا، قال النبي: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟»، قال أبو بكر: أنا، قال النبي: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟»، قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله ﷺ: «ما اجْتَمَعَنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ». (١)

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

كان يصلي من الليل ما شاء الله أن يصلي، حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله للصلاة، ويقول لهم: «الصلاة، الصلاة». (٢)

(١) صحيح رواه الإمام مسلم (١٠٢٨).

(٢) شعب الإيمان - ط الرشد ٤/٦٦٦ — أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨).

وهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه:

لما اجتمع عليه أولئك وأرادوا قتله، قالت امرأته: إن تقتلوه فإنه كان يحيي الليل كله في ركعة يجمع فيها القرآن. (١)

يا طالب العلم...



اجعل لك جدولاً يومياً واضحاً، والتزم به كما تلتزم بصلاتك، واعلم أن البركة تأتي مع الانضباط، وأن النجاح وليد التراكم، لا وليد الفورة والاندفاع.

من أضاع وقته، أضاع مستقبله، ومن فرط في ساعاته، ندم في سنواته، فكن كما قيل:

إذا هبت رياحك فاغتنمها فإن لكل خافقٍ سكونٌ



(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - ط السعادة ٢/٢٧٦ — أبو نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠).





الفصل الثامن عشر، عشرين

المحبرة إلى المقبرة

يا طالب العلم...



الطريق طويل، والزاد قليل، والدرب مخوفٌ بالمكاره، والغايات لا تُنال بالتمني ولا بالأحلام.

إنك ما دُعيت لطلب العلم لتقعد في أول الطريق، ولا لتتعلم بالمشاغل والظروف، بل دُعيت لتثبت... وتمضي... وتستمر، حتى يُقال لك: "دخل القبر وهو في طلب العلم".

فلا نهاية لطريق العلم إلا الموت.

قال الإمام أحمد رحمته الله:

وكان يقول: عن المحابر في أيدي طلاب العلم: هذه سرج الإسلام^(١).

ولما قيل لعبد الله بن المبارك:

إلى متى تطلب العلم؟ قال: حتى الممات إن شاء الله^(٢).

(١) تلبس إبليس، ص ٣٢٩، دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، (١/٤٠٦).



ويقول الغزالي:

فلا يزيد كبر السن للجاهل إلا جهلاً، فالعلم ثمرة العقل وهي غريزة ولا يؤثر الشيب فيها.

وقال أيوب السختياني:

أدركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع الغلام يتعلم منه.

وقيل لابي عمرو بن العلاء:

أيحسن من الشيخ أن يتعلم من الصغير؟

فقال: إن كان الجاهل يقبح به، فالتعلم يحسن به. (١)

فيا طالب العلم...



لا تركن إلى ما حفظت، ولا تغتر بما قرأت، فإن العلم بحر لا ساحل له، وكلما ازددت منه، شعرت بفقر نفسك إليه.

العالمُ الصادق لا يشبع من العلم.

والطالبُ الموفق لا يزال يسأل، ويقرأ، ويستزيد، ويراجع، ويبحث، إلى أن يُكتب اسمه في سجلّ المخلصين الصابرين.

احذر فتنة الشعور بالاكتماء.

(١) إحياء علوم الدين (١/ ١٤٣، ١٤٤).



من ظن أنه نال العلم فقد حُرِم، ومن قال: "قد انتهيت"، فقد بدأ سقوطه.

ومما يعينك على دوام الطلب:

١- استحضار نية القربي، وأنتك تتعب لترضي الله، لا لتقال "عالم" أو "مدرّس".

٢- مراجعة سير العلماء الصادقين، فإنها تشحذ الهمة.

٣- مصاحبة من يذكرك بهدفك، ويدفعك كلما ضعفت.

٤- الاشتغال بالتعليم والدعوة، فإنها تُثمر ما تعلمت، وتفتح لك أبوابًا جديدة من الفقه والفهم.

وروى غير واحد أن ابن المبارك قيل له :

إلى متى تكتب العلم ؟

قال : لعل الكلمة التي أنتفع بها لم أكتبها بعد .^(١)

يا طالب العلم...

إن لذة العلم لا تُدرك في العشر الأوائل، ولا في الشهور الأولى، بل بعد طول المجاهدة والصبر، وبعد سهر الليالي ومكابدة الفهم.

(١) السير ٨ / ٤٠٨.



فلا تستعجل الثمرة قبل نضوجها، ولا تظن أن العلم يُنال في
مجالس عابرة أو قراءات سطحية.

اجعل شعارك:

"سأبقى طالب علم حتى ألقى الله."

ولا تحجل من طلب العلم ولو بلغت من العمر عتياً، فإن النبي ﷺ
قال:

«من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهّل الله له به طريقاً إلى

الجنة.» (١)



(١) رواه مسلم.



الفصل التاسع عشر

العلم بين الجفاء والغلو

يا طالب العلم...



اعلم أن للعلم آدابًا كما له أركان، وأنه كما يُخشى على طالب العلم من الجهل، يُخشى عليه أيضًا من الغلو والجفاء، وكلاهما انحراف عن سواء السبيل.

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (١).

وقال ﷺ:

«إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في

الدين.» (٢)

الجفاء في العلم...

هو أن تطلب العلم ولا يظهر أثره عليك.
أن تدرس أحكام الشريعة، لكنك لا تتخلق بأدبها.
أن تحفظ النصوص، وتغيب عنك الرحمة والخشية.

(١) سورة البقرة: ١٤٣.

(٢) رواه النسائي.



أن تكون قاسي القلب، فظّ الخلق، جافياً على أهل الجهل، متعالياً على طلابه.

قال الحسن البصري:

"كَانَ الرَّجُلُ إِذَا طَلَبَ بَابًا مِنَ الْعِلْمِ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ يَرَى ذَلِكَ فِي تَخَشُّعِهِ وَبَصَرِهِ وَلِسَانِهِ وَيَدِهِ وَزُهْدِهِ وَصَلَاحِهِ وَبَدَنِهِ" (١)

والغلو في العلم...

هو أن يظن المرء أنه بلغ الغاية، وأنه مُلْزَمٌ للناس بما يراه.

هو أن يضيق واسع الشريعة، ويشدّد في مواضع الرحمة.

هو أن يُكفّر أو يُبدّع أو يُفسّق دون ورع أو علم أو معرفة بمقاصد الشريعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"الغلو: مجاوزة الحد، بأن يزداد في الشيء، في حمده أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك" (٢)

(١) إبطال الحيل لابن بطة (٣٤)

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم: (١/ ٢٨٩).



يا طالب العلم...



كن رحيماً بعلمك، ، لطيفاً بمن دونك، متواضعاً مع من خالفك،
وإذا بان لك الحق، فادعُ إليه برفق، فإن القلوب لا تُفتح بالعنف،
ولكن بالصدق واللين.

توازنٌ لا تناقض، لا تكن جافياً فتتهجر الناس وتزدريهم، ولا غالياً
فتحتكر الحق وتحجر السعة، بل كن كما كان السلف: علمٌ مع تواضع،
وفهمٌ مع رحمة، وغيرَةٌ مع حكمة.

وصيتي لك أيها الطالب النجيب...

لا تجعل العلم سيفاً تجرح به إخوانك، ولا تتعالى به على من دونك،
ولا تظن أنك وحدك على الصواب.
بل الزم لسانك، وراقب قلبك، وتحجّر الصدق في طلبك، والعدل في
حكمك.

فيا طالب العلم...



كن وسطاً، تكن أقرب للحق.
وازن بين العقل والنقل، بين الحزم واللين، بين الورع والعلم، تكن
على الجادة، بإذن الله.





الفَصْلُ العِشْرُونَ

فقهُ الاختلاف... سعةُ الصدر وسلامةُ المنهج

يا طالبَ العلم...



ما أحوجك إلى فقهٍ راسخٍ في بابِ قلٍّ من يحسنه: فقهُ
الاختلاف.

فليس الخلاف طارئاً على الأمة، بل وقع في عهد الصحابة رضي الله عنهم.
فاختلفوا ولم يتدابروا، وتباينت اجتهاداتهم ولم يتهاجروا.
لأنهم فهموا أن الخلاف في الفروع سائع، وأن الإنصاف فيه واجب،
وأن الاجتماع على الحق لا يعني التطابق في كل مسألة.

قال الإمام مالك رحمته الله:

"كُلُّ يُوْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُرَدُّ، إِلَّا صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ."
وأشار إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم.

يا طالبَ العلم...



إذا سمعت أخاك يخالفك في مسألة اجتهادية، فتمهل...
تثبت، أنصت، افهم حجته، وتذكر أن العلماء اختلفوا قبلك.
وما مزق الأمة مثل تعجُّل التخطيء، وسوء الظن، واتهام النيات.



من قواعد فقه الاختلاف في المسائل التي يسوغ فيها الاجتهاد:

١- التمسك بالدليل مع حسن الظن بالمخالف.

٢- تمييز مواضع الاتفاق من مواضع الخلاف.

٣- عدم الإنكار في مسائل الاجتهاد.

٤- أن تختلف معه ولا تهجره.

٥- أن لا تُنصب نفسك معياراً للحق.

قال الإمام الشافعي رحمته الله:

"مَا نَاظَرْتُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا أَحْبَبْتُ أَنْ يُوَفَّقَ وَيُسَدَّدَ وَيُعَانَ، وَيَكُونَ عَلَيْهِ رِعَايَةٌ مِنَ اللَّهِ وَحِفْظٌ. وَمَا نَاظَرْتُ أَحَدًا إِلَّا وَلَمْ أُبَالِ بَيْنَ اللَّهِ الْحَقِّ عَلَى لِسَانِي أَوْ لِسَانِهِ" (١)

يا لعظمة هذا القلب...!

همّه أن يظهر الحق، لا أن ينتصر هو.

أخطاء شائعة في الخلاف:

١- التشنيع على المخالف دون بينة.

٢- الطعن في النيات بدل مناقشة الحجج.

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - ط السعادة ١١٨/٩ — أبو نعيم الأصبهاني (ت



٣- جعل المسائل الفرعية كأنها أصولٌ قطعية.

٤-:تتبع الزلات وتضخيم الهفوات.

يا طالبَ العلم...



اجعل بينك وبين الخلاف جسراً من الإنصاف.

وسُترةً من الأدب، وسياجاً من الحكمة.

فكم من كلمةٍ أطلقت في لحظة حدة.

مزّقت أخوة سنين، وأطفأت نور العلم في القلوب.

وصيتي لك:

١-الزم الأدب عند الخلاف،

٢-وتعلّم مواطن الاتفاق قبل الاختلاف.

٣-وكن على يقين: أن من رام الحق بإخلاص، فهو أخوك.

٤-وأن الطريق إلى الله أوسع من أن تضيق باجتهاداتنا.

فيا طالبَ العلم...



الزم فقه الاختلاف، تسلم.

واحفظ لسانك عند النزاع، تُكرم.

ولا تكن ممن ضيّع علمه بالتعصب.



فالعلم نور، والتعصب نار.





الْفَضِيلُ الْحَجَّازِيُّ وَالْعِشْرُونَ

إِذَا ضَيَّعَ النَّاسُ... فَانْتَبَهْتَ

يَا طَالِبَ الْعِلْمِ...



إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ قَدْ أَعْرَضُوا عَنِ الْعِلْمِ، فَانْتَبَهْتَ.
وَإِذَا وَجَدْتَهُمْ قَدْ شَغَلُوا أَوْقَاتَهُمْ بِاللَّهْوِ، فَاشْغَلْ وَقْتُكَ بِالْحِفْظِ
وَالْمَدَارَسَةِ.

وَإِذَا تَبَاهَى بَعْضُهُمْ بِالْجَاهِ وَالْمَالِ، فَتَبَاهَ أَنْتَ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ.
فَلَيْسَ الطَّرِيقُ مَزْدَحْمًا، لَكِنَّهُ لَيْسَ مَفْرُوشًا بِالْوَرُودِ.
وَلَيْسَ فِي السَّيْرِ وَحْدُكَ مَذَلَّةً، بَلِ الشَّرْفُ كُلُّ الشَّرْفِ فِي أَنْ تَسِيرَ
حِينَ يَتَوَقَّفُ النَّاسُ.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

"إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَنَافِسُكَ فِي الدُّنْيَا، فَنَافِسْهُ فِي الْآخِرَةِ."^(١)
قَدْ تَرَى زَهْدَ النَّاسِ فِي الْحَلَقِ، وَرُكُونَهُمْ إِلَى الرَّاحَةِ.
وَقَدْ تُرْمَى بِأَنْكَ مَتَشَدِّدٍ، أَوْ مَنَعَزَلٍ، أَوْ مَتَأَخِّرٍ.
فَلَا تَلْتَفِتْ إِلَى سَهَامِ الْغَافِلِينَ.

(١) ذم الدنيا ١/١٨٤ — ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١).



فقد مضى قبلك من سار وحده... فلاحق بالركب في الجنة.

إذا ضيّع الناس طلب العلم، فاطلبه.

إذا فرطوا في الأوقات، فاحفظها.

إذا اشتغلوا بعيوب الناس، فاشتغل بعيب نفسك.

إذا لعبوا، فجدّ.

إذا توائوا، فثابر.

لا تكن تبعًا للناس في الفتور.

ولا تُقرّ لنفسك بالدعة.

فالعلم ميراث النبوة.

ولا يرثه إلا من صدق واجتهد وصبر.

وتذكر...

أن نوحًا عليه السلام دعا وحده قرونًا، وأن إبراهيم كان أمة.

وأن العلماء الربانيين، غالبًا ما بدأوا وحدهم.

فإن كنت وحدك على الطريق، فلست وحدك في الأجر.



قال الفضيل بن عياض - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -:

"عليك بطريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطريق الضلال ولا تغتر بكثرة الهالكين" (١)

وصيتي لك:

- ١- إذا ضيَّع الناس، فكن ممن يُحيي السنن.
- ٢- وإذا خفت أن تُتهم بالغلو، فاستمسك، ولا تلتفت.
- ٣- وإذا استوحشت من الطريق، فاستأنس بالقرآن وسير المخلصين.

فيا طالبَ العلم...



إذا ضيَّع الناس... فاثبت.
وإن فتروا... فشدّ العزم.
وكن شعلةً في زمن الظلمة.
ونبراسًا في زمن الغفلة.



(١) صفة الصفوة: (٢/ ٢٣٥)، «الاعتصام» للشاطبي: (١/ ١١٢).





الفصل الثاني والعشرون

كن داعياً... ولا تكف بالعلم وحده

يا طالب العلم...



لقد شرفت بالطلب، فشمر الآن للدعوة.
فما العلم إلا وسيلة، وأشرف غاياته أن تهدي به الخلق إلى ربهم.
لا تكن وعاءً ممتلئاً لا يفيض.
ولا خزانة مغلقة لا تفتح.
بل كن نبضاً حياً في الأمة.
تعلم، ثم علم، وتفقه، ثم بلغ.
قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ (١).

فأحسن الناس قولاً هو من دعا إلى الله.
لا من أمسك العلم لنفسه.
ولا من زينّه في دفاتره، ثم كتبه عن الناس.

(١) سورة فصلت: ٣٣.





يا طالب العلم...

هل ترى الفساد من حولك؟

هل يؤلمك جهل الناس؟

هل تتفطر قلبك على حال الأمة؟

إذن، قم... وتكلم، وعلم، وادع، واصبر.

فالدعوة لا تحتاج منك أن تكون فقيهاً متبحراً.

بل تحتاج قلباً حيّاً، ولساناً صادقاً، وحرقةً على الناس.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال:

"مثل علم لا يُعمل به كمثل كنز لا يُنفق منه في سبيل الله ﷻ" (١)

قال سعيد بن جبیر رحمته الله تعالى:

"لو كان المرء لا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون

فيه شيء ما أمر أحد بمعروف، ولم ينه أحد عن المنكر" (٢)

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمته الله تعالى:

"لا تعملوا في أمر الدين بالرأي المجرّد الذي لا يستند إلى أصل الدين" (٣)

(١) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، ٩/ ٢.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، ٣٦٧/ ١.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٢٨٨/ ١٣.



قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

"الدعوة إلى الله تجب على كل مسلم، لكنها فرض على الكفاية، وإنما يجب على الرجل المعين من ذلك ما يقدر عليه، إذا لم يقدّم به غيره" (١)

وسائل الدعوة كثيرة، منها:

- ١- درس تُلقيه.
- ٢- كلمة تُسجلها.
- ٣- مقالة تكتبها.
- ٤- موعظة بين الأهل.
- ٥- خلق حسن تُظهره.
- ٦- أو حتى سكوت حكيم في موضعه.

تأمل سيرة النبي ﷺ...

كان يدعو في السوق، وفي البيت، وفي الطرقات.
ويجلس مع الغني والفقير، والصغير والكبير.
فالداعية لا يختار جمهوره، بل ينفع حيثما كان.

(١) انظر: مجموع فتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، ١٥/ ١٦٦.



وصيتي لك:

لا تنتظر أن تُفتح لك المنابر، بل افتح قلبك.
لا تحتقر الكلمة الطيبة، فربّ دعوة أحييت قلباً ميتاً.
لا تتردد في تعليم من هو دونك، فكل كلمة تُقرب أحدهم من الله
هي كنز.

فيا طالب العلم...



كن داعياً، لا ساكناً، كن مشعلاً، لا ظلاً، كن نافعاً، فإن العلم
بلا دعوة كالسراج في صندوق مغلق، والأمة تحتاجك... فلبّ النداء.





الفصل الثالث والعشرون

كن سلفياً على الجادة

يا طالب العلم...



لقد اختارك الله لطريق السلف الصالح، فكن متمسكاً بالجادة،
ولا تزل عنها.

فإن هذا الطريق هو سبيل الأنبياء وأتباعهم من الصالحين.
وهو المنهج الذي يجب أن تلتزم به في فكرك، وسلوكك، ودعوتك.
السلفية ليست مجرد مسمى أو دعوى.

إنها منهج حياة راسخ على الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة.
كن سلفياً في كل جوانب حياتك، في تعلمك، وفي عملك، وفي
دعائك.

ولا تلتفت إلى الزخارف والمغريات التي قد تشوش على الطريق
المستقيم.



عن الزُّهْرِيِّ قَالَ:

"كَانَ مِنْ مَضَى مِنْ عُلَمَائِنَا يَقُولُونَ: الْإِعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ"^(١)

عن عُثْمَانَ بْنِ حَاضِرٍ الْأَزْدِيِّ قَالَ:

قُلْتُ لَابْنِ عَبَّاسٍ: أَوْصِنِي، قَالَ: "عَلَيْكَ بِالْإِسْتِقَامَةِ، وَاتَّبَاعِ الْأَثَرِ، وَإِيَّاكَ وَالتَّبَدُّعَ"^(٢).

قال ابنُ تيمِيَّةَ:

"شَوَاهِدُ هَذَا الْأَصْلِ الْعَظِيمِ الْجَامِعِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَثِيرَةٌ، وَتَرَجَّمَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي الْكُتُبِ كِتَابَ الْإِعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، كَمَا تَرَجَّمَ عَلَيْهِ الْبُخَارِيُّ وَالْبَغَوِيُّ وَغَيْرُهُمَا، فَمَنْ اعْتَصَمَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَانَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ، وَحِزْبِهِ الْمُفْلِحِينَ، وَجُنْدِهِ الْغَالِبِينَ"^(٣).

يا طَالِبَ الْعِلْمِ...



السلفية ليست اجتهاداً شخصياً أو مذهباً فقهياً ضيقاً.

بل هي اتباع لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

وفهمٌ صحيحٌ لما كان عليه الصحابة ومن تبعهم بإحسان.

(١) رواه ابن بطة في (الإبانة الكبرى) (٣٢٠/١)، واللالكائي في (شرح أصول اعتقاد أهل السنة) (١٠٦/١).

(٢) رواه ابن بطة في (الإبانة الكبرى) (٣٣٧/١).

(٣) يُنظر: (مجموع الفتاوى) (٦٢٣/١١).



إنها منهج يتسم بالثبات على الحق، مهما تلاطمت الأمواج وتعددت الآراء.

فالسلفية ليست مجرد فكر عقائدي، بل هي أسلوب حياةٍ كامل: التزام بالسنن، تمسك بالشرع، والتعاقد من أجل نصره الدين. كن سلفياً على الجادة.

لا تلتفت لوساوس الحزبيين ولا تميل مع رياح أهل الفتن. فلا تلتفت إلى متاهات الحياة، ولا تضعف أمام المغريات. وتمسك بما كان عليه سلف الأمة، فهو السبيل الذي لا يضل صاحبه.

يا طالب العلم...



حافظ على سنن النبي ﷺ في قولك وعملك.

واشعر بواجبك في نشر الحق والتمسك به.

إذا انحرف الناس أو ضلوا عن الطريق، فكن أنت من يضيء لهم الدرب.

ابتعد عن البدع والأهواء، ولا تدع الفتن تلوث قلبك أو تحرفك عن الجادة.



وصيتي لك:

- ١- لا تلتفت إلى التشويشات التي يزرعها أعداء السلفية، فإنهم لا يريدون لك الخير.
- ٢- لا تندفع وراء الدعوات المضللة التي تدعو للتشويش على الحق.
- ٣- تذكر دائماً أن السلفية ليست دعوى شائكة، بل هي منهج أصيل، وهي النجاة في هذا الزمان.
- ٤- تمسك بالكتاب والسنة، وكن ثابتاً في دعوتك، مهما كانت التحديات.
- ٥- ابتعد عن الحزبيين الحركيين فإن الحزبية تفرق ولا تجمع وتشتت ولا تلم.

فيا طالب العلم تذكر بهذه الأقوال من أقوال السلف

كقول الإمام الأوزاعي رحمته الله:

"اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم." (١)

(١) كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام اللالكائي، برقم الأثر (٣١٥).



وقول الإمام سفيان الثوري رحمته الله:

"لا يستقيم قول إلا بعمل، ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية، ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة." (١)

وقول ابن شوذب رحمته الله:

"إن من نعمة الله على الشاب إذا نسك أن يوافي صاحب سنة يحمله عليها." (٢)

كن سلفياً على الجادة، ثابتاً على الحق، متمسكاً بالكتاب والسنة، لا تلتفت لأي فتنة.

ولا تسمح لأي فكر منحرف أن يضللك، وكن مع سلف الأمة تجد الدليل والهدى في كل خطوة.



(١) كتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني، الجزء السابع، صفحة ٣٢.

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة العكبري، الجزء الثاني، برقم الأثر (٥١٧).





الخاتمة

وبعد، فهذه همساتٌ خرجت من قلبٍ يرجو الخير لإخوانه، قبل أن تكون كلماتٍ تُسَطَّر في كتاب، أو عباراتٍ تُودَع بين دفتي رسالة.

وما هي إلا وقفاتٌ مع طالب العلم في أول طريقه، ووسط مسيره، وعند غاية مقصده؛ تذكّره إذا غفل، وتثبّته إذا فتر، وتأخذ بيده إذا تعثر.

لقد ابتدأت هذه الرسالة بالنية؛ لأنها مفتاح كل خير، وأساس كل عمل، ثم انتقلت إلى زينة طالب العلم من الحياء والعفاف، والأدب مع الله ثم مع الخلق، إذ لا يرفع العلم صاحبه ما لم يرفعه الخلق.

ثم دعت إلى الجد والاجتهاد، والصبر والمصابرة، وحثت على صحبة الصالحين، والمحافظة على الحفظ والعمل، وتعظيم العلماء، ومعرفة أقدارهم، والتحذير من آفات الطريق التي تفسد العلم أو تذهب بركته.

ثم انتقلت إلى بيان الوسائل التي يثبت بها العلم في القلب، من حسن استثمار الأوقات، وكثرة القراءة، وملازمة العلماء، والانتفاع بهم، وحسن اختيار الصحبة، وفقه الخلاف، وسلامة الصدر، والبعد عن أسباب الفرقة والنزاع، حتى يكون طالب العلم جامعاً بين صحة المنهج، وسلامة القلب، وحسن السمات.



وُخِّتْ بالحث على الدعوة إلى الله، وبذل العلم، والانفتاح على الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، فإن العلم إذا لم يثمر عملاً، والعمل إذا لم يثمر دعوةً، كان كالغيث الذي وقع على أرض لا تنبت زرعاً، ولا تُخرج ثمرًا.

وما أحوج طالب العلم في هذا الزمان إلى أن يجمع بين قوة العلم، وصفاء العقيدة، وصدق العبادة، وحسن الخلق، ورحابة الصدر، ودوام المراقبة لله تعالى، فإن العلم شجرة، أصلها الإخلاص، وساقها الاجتهاد، وأغصانها الأدب، وثمرتها العمل، وظلها الدعوة، ولا تطيب هذه الشجرة إلا إذا سُقيت بماء التقوى، وحُفظت من آفات الهوى والرياء والعجب.

❦ فيا طالب العلم...

الزم طريق العلماء الربانيين، واستمسك بالكتاب والسنة، وأكثر من سؤال الله الثبات، ولا تستبطئ ثمرة العلم، فإن الغيث يبدأ قطرة، والبناء يبدأ حجرًا، والبحر إنما هو قطرات اجتمعت، ومن صدق مع الله في بدايته، صدقه الله في نهايته، ومن زرع اليوم حصد غدًا، ومن صبر ظفر، ومن جدَّ وجد، ومن سار على درب وصل.

❦ وختامًا:

أَسْأَلُ اللهَ الكريم، رب العرش العظيم، أن يجعل هذه الرسالة خالصةً لوجهه الكريم، نافعةً لكتبتها وقارئها، وأن يرزق طلاب العلم الإخلاص في النية، والصدق في الطلب، والبركة في العلم، والعمل بما



علموا، والدعوة إليه على بصيرة، وأن يجعلهم من ورثة الأنبياء، وحملة السنة، وأن يبارك في أعمارهم وأوقاتهم وأعمالهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الفهرس

- ٥.....مقدمة الرسالة
- ٧.....الفصل الأول النية أول الطريق
- ١٠.....الفصل الثاني الحياء والعفاف زينة طالب العلم
- ١٣.....الفصل الثالث الأدب قبل الطلب
- ١٦.....الفصل الرابع الجد والاجتهاد طريق السؤدد
- ١٩.....الفصل الخامس رفقا بنفسك أيها الطالب: العلم زاد لا عذاب
- ٢٢.....الفصل السادس صحبة الصالحين زاد الطريق
- ٢٥.....الفصل السابع الحفظ والعمل: جناح طالب العلم
- ٢٨.....الفصل الثامن منزلة العلماء ومكانة العلم
- ٣١.....الفصل التاسع آفات في طريق الطلب... فاحذرها
- ٣٥.....الفصل العاشر ثمار العلم في قلب طالب العلم
- ٤٠.....الفصل الحادي عشر طريق العلم... جهاد ومثابرة
- ٤٤.....الفصل الثاني عشر العلم وطلبه في عصرنا

- الفصل الثالث عشر: كيف تُثبت العلم في قلبك؟ ٤٩
- الفصل الرابع عشر: اقرأ كتب الأدب... ففيها مفاتيح العلم ٥٤
- الفصل الخامس عشر: زاحم العلماء بالركب... واقترّب من النور ٥٨
- الفصل السادس عشر: بين العزلة والصحبة... من تختار؟ ٦١
- الفصل السابع عشر: فقه الوقت... واغتنام الأنفاس ٦٤
- الفصل الثامن عشر: المحبرة إلى المقبرة ٦٩
- الفصل التاسع عشر: العلم بين الجفاء والغلو ٧٣
- الفصل العشرون: فقه الاختلاف... سعة الصدر وسلامة المنهج ٧٦
- الفصل الحادي والعشرون: إذا ضيّع الناس... فاثبت ٨٠
- الفصل الثاني والعشرون: كن داعياً... ولا تكتف بالعلم وحده ٨٣
- الفصل الثالث والعشرون: كن سلفياً على الجادة ٨٧
- الخاتمة ٩٢
- فهرس الموضوعات ٩٥





طَلَابُ الْحَقَائِقِ الْعِلْمِيَّةِ

تَأْلِيفُ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَمِينِ الرَّجَّحِينِ

طَبْعُ الْمَدِينَةِ الْمَكِّيَّةِ



تَأْلِيفُ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ:
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي حَسْبٍ

الحياة والنسب

